

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم

دراسة وصفية تحليلية

The Eloquence of concordance in the Holy Quran

د. سهام داوي¹

¹كلية العلوم الإسلامية . جامعة الجزائر 1 ، s.daoui@univ-alger.org

تاريخ الاستلام: 2023/11/01 تاريخ القبول: 2024/01/03 تاريخ النشر: 2024/01/12

ملخص:

المطاوعة في الاستعمال اللغوي العام متعلقة بالفعل المؤثر وردّ الفعل المتأثر، فتكون على ذلك متعلقة بالمفعول الذي صار فاعلا. وهي إما لفظية صرفية يكون فيها الفعل الثاني من لفظ الفعل الأول، أو معجمية يتفق فيها معنى الفعلين مع اختلاف لفظهما.

وقد حفل القرآن الكريم بهذه الظاهرة اللغوية البلاغية التي خدمت مقاصده في التشريع، وتثبيت العقيدة، وترسيخ حقيقة العبودية أمام عظمة الخالق الذي يأمر فيُطاع، ويقضي فيُقضى، وهذا ما هدف إليه هذا البحث الذي عرّف بهذه الظاهرة عموما، ثم خصّص الاستعمال القرآني، وسعى إلى الكشف عن بلاغة شواهدا.

ووصل البحث إلى نتيجة مهمة حول الخصوصية القرآنية للمطاوعة، حيث غلب على أفعال المطاوعة في القرآن الزمن الماضي بالنظر إلى ما يفيد من تحقق الفعل وكثرة تعلّقه بالوعيد بما سيقع يوم القيامة من انقياد الكون لأمر الخالق. وتتجلى بلاغة المطاوعة في الترهيب كما تخدم التصوير الفني في تحسيس القارئ بالمشهد المنقلب من حال إلى حال، والصيرورة التي تتمّ بإذن العظيم المتعالي، ما كان منها في الدنيا، وما يكون عند زوالها واستجابة الخليقة لأمر الخالق..

Abstract:

Concordance in general linguistic usage is related to the affecting verb and the affected verb, thus it is related to the object that becomes a subject. It can either be inflectional, where the second verb corresponds to the first verb's form, or lexicographic, where the meanings of the two verbs align despite their differing forms

The Holly Quran abounds with this rhetorical and linguistic phenomenon that served its purposes in legislation, solidifying belief, and establishing the reality of servitude in the face of the greatness of the Creator who commands to be obeyed and decrees to be decreed. This is the objective of this research, which generalizes this phenomenon, then specifically focuses on its usage in the Quran, and seeks to reveal its eloquent manifestations

The research has led to an important conclusion regarding the Quranic uniqueness of concordance, where past tense verbs dominated in the Quran due to their role in actualizing the action and their frequent association with warnings about what will occur on the Day of Judgment, as the universe submits to the command of the Creator. The eloquence of concordance is manifested in creating a sense of awe and fear, serving artistic portrayal to sensitize the reader to the transformation of circumstances, and the cycle that occurs by the permission of the Almighty, both in this world and what will transpire upon its departure, as creation responds to the Creator's command.

Keywords: concordance, eloquence, Quran, verbs, forms.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

1. مقدمة

لم تحض ظاهرة المطاوعة في القرآن الكريم باهتمام كبير، بالنظر إلى عدم وقوف المفسرين عندها طويلا، وعلى اعتبار الاختلاف بينهم في تحديد شواهدا، فمنها ما اعتبروه من المطاوعة اتفاقا، ومنها ما اقتصروا على تقدير التعدية واللزوم فيه، تغلبا للدلالات النحوية والصرفية على تقدير البلاغة القرآنية المولدة للمعاني.

ولقد هدف هذا البحث إلى التعريف بهذه الظاهرة على ما قرره علماء اللغة، وأصحاب المعاجم، ومن ثم استكشاف الدلالات التي تحملها، والبلاغة التي تعكسها في كلام العرب، وفي القرآن الكريم، مع الوقوف عند شواهدا القرآنية بالتحليل من أجل تحديد خصوصية الاستعمال القرآني، وأثر ذلك على الدلالة، وطبيعة السياقات التي جاءت فيها المطاوعة.

وانطلق من إشكالية في صيغة تساؤل نصّه:

كيف تجلّت بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم؟ وما هي السياقات التي

تعلّقت بها؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية تساؤلات هي:

ما معنى المطاوعة. وما موقف العلماء منها؟

ما خصوصية استعمال المطاوعة في القرآن الكريم؟

ما الأثر البلاغي لأفعال المطاوعة في السياقات القرآنية؟

ويناسب هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، القائم على عرض المفهوم، والتمثيل له، ومن ثمّ تحديد نطاق الاستعمال القرآني، واستخراج الشواهد وتحليلها.

د. سهام داوي

وذلك حسب التسلسل الآتي:

مفهوم المطاوعة وأنواعها

أفعال المطاوعة في القرآن الكريم

الوجوه البلاغية في استعمال المطاوعة في القرآن الكريم

2. مفهوم المطاوعة وأنواعها

1.2 مفهوم المطاوعة

أولاً: المطاوعة في اللغة:

المطاوعة مصدر على وزن (مفاعلة) من الفعل (طاوع)، قال الفراهيدي: "وطاوع له إذا انقاد، وإذا مضى في أمرك فقد أطاعك، وإذا وافقك فقد طاوعك، ونقول: أنا طوع يدك أي منقاد لك"¹، وجاء في تهذيب اللغة: يقال قد أطاع له المرتع إذا اتسع له المرتع، .. وقال ابن السكيت: "طاع له، وأمره بأمر فأطاعه بالألف لا غير، وطاع له إذا انقاد بغير ألف، وَقَالَ اللَّيْثُ: الطَّوعُ: نَقِيضُ الْكَرْهِ، لِتَفْعَلَنَّهُ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، وَطَائِعاً أَوْ كَارِهاً. وَطَاعَ لَهُ إِذَا انْقَادَ لَهُ، فَإِذَا مَضَى لِأَمْرِهِ فَقَدْ أَطَاعَهُ، وَإِذَا وَافَقَهُ فَقَدْ طَاوعَهُ"²

وجاء ذكر اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (المائدة 30) بمعنى ينصرف إلى تزيين القتل في نفسه، وحمله عليه ليتخلص منه.

ونخلص من المفهوم اللغوي إلى المعاني التي تصبّ فيها هذه المادة، وهي: الموافقة، والانقياد والاستجابة،

¹ . الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (ط و ع)، دار الهلال، بيروت، 209/2.

² . الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، مادة (ط و ع)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 66/3.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

ثانيا: المطاوعة في الاصطلاح:

ذكر النحاة أفعال المطاوعة على تفاوت بينهم في تقدير معناها، بداية من الإشارات التي بدأت مع سيبويه (ت180هـ) الذي بين أوزان الفعل الدالة على هذا المفهوم، وهي "انفعل" و"افتعل"³، وعرفها المبرد (ت285هـ) بقوله: "هو أن يروم الفاعل فيبلغ منه حاجته"، ثم ابن جني (ت392هـ) الذي أفصح بتعريفها فقال: "وهي أن تريد من الشيء أمرا فتبلغه، إما بأن يفعل ما تريده إذا كان مما يصح منه الفعل، وإما أن يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصح منه الفعل إذا كان مما لا يصح منه الفعل"⁴، فيكون المعنى عنده قبول الأثر، مع التفريق بين من يمكن أن يصدر منه فعل ومن لا يمكن أن يصدر منه فعل.

أما الرضي الإستراباذي (ت686هـ) فقد دقق في معنى المطاوعة وفصله بما يعني: "التأثير وقبول الأثر، سواء كان التأثير متعديا نحو: علمته الفقه فتعلمه، أم كان لازما نحو: كسرته فانكسر، فالمطاوع حقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلا، نحو: باعدت زيدا فتبا عد"⁵، فالمفعول به قبل الأثر فأصبح فاعلا. والفاعلان اللذان تقع بهما المطاوعة يتفقان في اللفظ والمعنى مثل: كسرته فانكسر، أو يتفقان في المعنى فقط، مثل: طردته فذهب.

ويختص ابن هشام (ت761هـ) بتعريف نصّه: "هي أن يدلّ أحد الفعلين على تأثير، ويدلّ الآخر على قبول فاعله لذلك التأثير"⁶

³. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، 65/4.

⁴. ابن جني، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وأحمد أمين، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م، 71/1.

⁵. الرضي الإستراباذي، شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، 218/3.

⁶. ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط1، 1982، ص676.

د. سهام داوي

وتراوحت تعريفات جلّ القدامى حول هذا المفهوم، فلم يعدّ التعريف عندهم أن يتعلق بوقوع الثّر على المفعول به ليصبح فاعلا بوقوعه.

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين تجلية مفهوم المطاوعة وأوزانها ، ومنهم : خليل إبراهيم العطية في بحثه الموسوم بـ(المطاوعة في الأفعال) ، وهاشم طه شلاش في بحثه (المطاوعة معناها وأوزانها) ، وصالح بن سليمان الوهبي في بحثه (المطاوعة معناها وأوزانها)، وأيوب جرجيس العطية في كتابه (المطاوعة وأفعالها في القرآن الكريم)، حيث نحوا بها منحها الصرفي المتعلّق ببنية الأفعال التي تُستعمل لهذا الغرض، ولم يتجاوزوا حدود شرح الدلالة الظاهرة دون تعمّق في بلاغتها، ودقة ما ورد في القرآن الكريم من شواهدا. وهذا الذي يسعى إليه هذا البحث شرحا وتفصيلا بما يخرج عن مجال العرض الوصفي إلى التحليل البلاغي بقدر ما أتاحت جهود المفسّرين، وما لمحت الباحثة في ضوء السياقات.

وقد نبّه الدّارسون⁷ أنّ مصطلح المطاوعة قد مرّ بمراحل متعدّدة، هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الإشارة دون التصريح به فضلا عن التعريف، ويمثّلها سيبويه.

المرحلة الثانية: مرحلة ذكره ووضع حدّ له، ويمثّلها المبرّد.

المرحلة الثالثة: مرحلة نضج التعريف ودقته، وبرز من يمثّلها السيرافي وابن جني.

المرحلة الرابعة: مرحلة ذكر عناصر التعريف بصورة أدق ممّا سبق، ويمثّلها الرضي.

المرحلة الخامسة: مرحلة النقل لتعريفات السابقين ويمثّلها ابن هشام.

المرحلة السادسة: مرحلة تضيق المصطلح بإضافة شرط التوافق في الصيغة والعلاج الحسّي وذلك على يد المتأخّرين من اصحاب الدراسات العلمية اللغوية.

⁷ . يُنظر: العطية، أيوب جرجيس، المطاوعة وأفعالها في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص14.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

وارتضى (ايوب جرجيس العطية) من كلّ ذلك تعريفا جامعا مستوعبا صاغه كالآتي: "المطاوعة هي التأثير وقبول الأثر بين فعلين: الأوّل مؤثّر وهو موجود حقيقة أو تأثيرا، والثاني متأثر، يتفقان في اللفظ والمعنى، نحو: كسرتَه فانكسر، أو يتفقان في المعنى فقط نحو: طردته فذهب، ولا يُشترك العلاج الحسي إلّا في الفعل"⁸

وقد أطلق (رمضان عبد التواب) مصطلح "الانعكاسية"⁹ بدل المطاوعة.

2.2. أنواع المطاوعة

بناء على ما شرحه العلماء في هذا الباب، وما قدموه من شواهد له، نستطيع تقسيم المطاوعة إلى قسمين:

أ . المطاوعة اللفظية (الصرفية): يكون فيها الفعل الثاني من لفظ الفعل الأوّل. مثل: عدلته فاعتدل. بما يوحي بتصرّف الفعل الثاني من الفعل الأوّل أو اشتقاقه منه. فهي على هذا المعنى صرفية، وعلى اتفاق اللفظ بينهما لفظية.

ب . المطاوعة المعجمية: يتفق فيها معنى الفعلين مع اختلاف لفظهما، مثل: أعطيته فأخذ. ويُلقأ إليها عادة عند فقد المطاوع الصرفي، إذ لا نقول مثلا: طردته فانطرد، فنقول: طردته فذهب.

وفرق في ذلك ابن سيده، والزركشي، وأبو البقاء الكفوي بين الأفعال القلبية التي يجوز أن تتخلق فيها المطاوعة، والأفعال الحسية التي لا يجوز تخلفها فيها، فيجوز أن نقول علمته فلم يتعلم، ولا يجوز أن نقول: كسرتَه فلم ينكسر، وذلك بالنظر إلى إمكانية ردّ الفعل أو عدمها.

⁸. المرجع نفسه، ص15.

⁹. يُنظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1980، ص49.

3. أفعال المطاوعة في القرآن الكريم

تتعدد صور المطاوعة بناء على ذكر الفعل المطاوع وحذفه وفق الصور الآتية¹⁰:

الأولى: أن يذكر الفعل المطاوع، ويأتي بعده الفعل المطاوع مرتبطا بالفاء العاطفة، وهما متحدان في اصل الصيغة، نحو: أخرجته فخرج، وباعدته فتباعد.
والثانية: أن يذكر الفعل المطاوع، والفعل المطاوع مرتبط بالفاء العاطفة، والفعل الثاني يختلف عن الأول في اللفظ ويوافقه في المعنى، نحو: طردته فذهب، واعطيته فأخذ.

والثالثة: أن يذكر الفعل المطاوع فقط، نحو انكسر الإناء، وتدرجت الكرة..
وبناء على هذه الصور كان استقراؤنا لشواهد القرآن الكريم، فلم نجد منها الظاهر الحاضر الطرفين على ما قدمناه في الصنفين الأولين، وإنما وجدنا نماذج على الصورة الثالثة التي يخفى حالها إلا على المتدبر المقدّر لخوافي الألفاظ، بما يعتمد على التقدير النحوي، ويخرج إلى رحاب البلاغة القرآنية الراقية التي يكون ذكر الإفصاح فيها أبلغ من الإفصاح، وتترك بإضمار الألفاظ والجمل فسحة للخيال والتصور

وتتنوع شواهد المطاوعة في القرآن الكريم بحسب صيغة الفعل:

1.3 المطاوعة بالوزن (فعل)

يطاوع هذا الوزن فعلا ثلاثيا مجردا، وفعلا مزيدا بالهمزة،

وقد توقّف الزمخشري من شواهد المطاوعة عند قوله تعالى: "وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالتَّنْبِئِ وَأَلْشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (الزمر 69) فقال في تفسيرها: "من شرقت بالضوء، تشرق، إذا

¹⁰. المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم، ص71.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

امتألت به واغتصب، واشرقها الله"¹¹، فالأرض لا قدرة لها على الفعل إلا أن يسخرها الله تعالى ويأذن لها.

ومن شواهد المطاوعة ضمن هذا الوزن قوله تعالى: "فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت.." (البقرة60)، قال فيه ابن الأثير: "أي: فضرب، فانفجرت، فاكتفي بالمسبب الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب"¹²، وقال الزمخشري: "الفاء متعلقة بمحذوف . أي: فضرب، فانفجرت، أو لأن ضربت فقد انفجرت"¹³

كذلك يدخل في هذه الشواهد قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذُخْرُونَ" (النحل 48)، حيث يقول ابن عطية في تفسيرها: "فيأ الله الظل فتفياً، وتفيأ من باب المطاوعة، وهو لازم"¹⁴

وقوله أيضاً: "قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" (الأعراف 25)، "فمن قرأ بفتح التاء أراد أن الله إذا أخرجهم يوم القيامة فهم الخارجون"¹⁵

2.3 المطاوعة بالوزن (افتعل)

وقفنا على ثلاثة شواهد لفعل المطاوعة بالصيغة (افتعل) في الماضي هي:
. انتهى جاء في قوله تعالى: "فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ" (البقرة 275). قال ابن منظور: "نهيته فانتهى وتناهى"

وجاء في هذا المقام مطاوعاً لـ (نهى) بمعنى الانزجار والامتناع، حيث نقف على بلاغة التعبير عن الاستجابة لأمر الله تعالى وموعظته بما يوحى بالسرعة في

¹¹. الكشاف، 357/3.

¹². المثل السائر، 275/2.

¹³. الكشاف، 32/2.

¹⁴. المحرر الوجيز، تج: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ط1، 432/8.

¹⁵. الحجة في القراءات السبع، تج: عبد الله سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1981م، ص316.

د. سهام داوي

الامتثال وعدم العودة إلى ما لا يرضي الله تعالى. يقول (الطاهر ابن عاشور): "الانتهاه مطاوع نهاه إذا صدّه عمّا لا يليق وكأنه مشتق من النهي . بضم النون . وهو العقل"¹⁶ ، ولا يكون هذا الامتثال المطاوع إلّا من قلب متعلّق بالله، يتحرّى ما يرضيه فيفعله، ويتلقى ما ينهاه عنه فينتهي مباشرة.

. احترقت: في قوله تعالى: " فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ " (البقرة 266)، حيث اتّفق المفسرون على أنّ " احترقت " مطاوع لفعل محذوف تقديره: فيه نار أحرقتها فاحترقت¹⁷ ، وأساس المعنى ما فصله الراغب بقوله: "أحرقه بكذا، احترق.. وحرق الشيء إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب"¹⁸ أما المعنى السياقي فهو متعلق بالعذاب الذي اصاب به الله الكفار تمثيلاً لحالهم بالذي زالت النعمة من بين يديه بإحراق من الله تعالى أتاها فالتهمها.

. اقترب: قال تعالى: " أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ " (الأنبياء1) تنبّه أهل البلاغة في هذا المقام إلى عمق المطاوعة الحاصلة بوقوع الحساب الذي عبّر عنه القرآن بالدنو، حيث يقول (ابن عاشور): "فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل " ويستطرد: " وهي كناية عن وقوع موتهم.. وفي هذا تعريض بالتأكيد بقرب هلاكهم"¹⁹

أما المطاوعة بالوزن (افتعل) في المضارع ففيها شاهدان من القرآن الكريم، في قوله تعالى:

" وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّ أَمَلًا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ " (القصص 20)

¹⁶ . ابن عاشور، التحرير والتنوير، 90/3.

¹⁷ . يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي، 53/3، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 207/1، وروح المعاني للآلوسي، 38/3.

¹⁸ . المفردات في غريب القرآن، (حرق)، ص114.

¹⁹ . ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/17.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

" فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ فَارْتَدَّ بَصِيرًا " (يوسف 96)

وفعلًا المطاوعة في الشاهدين هما (يأترون)، و(يرتد) فالائتمار هو قبول الأمر من الأمر ومطاوعة أمره، ويتعلق بالاتفاق على قتل موسى عليه السلام والتريص به، تواطؤا على السوء، أما الارتداد فقد جاء في هذا المقام بانقلاب الشيء إلى الحالة التي كان عليها، فلم يقل عز وجل (فصار) بل جاء اللفظ المناسب للدلالة على أنه عاد إليه بصره بعد ذهابه، بل لم يقل (رد) وقال (ارتد) في تعبير دقيق بليغ نبه إليه ابن الأنباري في قوله: "إنما قال 'ارتد' ولم يقل 'رد' لأن هذه من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين كقولهم: طالت النخلة والله أطالها، وتحركت الشجرة، والله حركها"²⁰

وجاءت المطاوعة بالوزن (افتعل) في الأمر في شاهد واحد هو قوله تعالى: "وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَهْمًا الْمُجْرِمُونَ" (يس 59) حيث جاء الفعل (امتازوا) مطاوعا لـ (ماز) أو (ميز) بمعنى التميز والانفراد. قال ابن فارس: "الميم والحرف المعتل والزاء اصل صحيح يدل على تزيل شيء من شيء.. وامتازوا: تميز بعضهم من بعض.. وانماز الشيء انفصل عن الشيء"²¹

3.3 . ما جاء على صيغة (انفعل)

وقفنا له في القرآن الكريم على الشواهد الآتية:

انفجرت: في قوله تعالى: "وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا" (البقرة 60) ورد مطاوعا لفجّره بمعنى الانفجار وخروج الماء حيث يقدره المفسرون بـ "فجّره فانفجر" ويتسق هذا التقدير مع سياق هذه الآية التي تحكي معجزة من الله تعالى لموسى عليه السلام بانفجار العيون لكي يشرب الناس.

²⁰ . زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1984، 286/4.

²¹ . ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (م ي ز)، 289/5.

د. سهام داوي

انبعث: في قوله تعالى: "إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا" (الشمس 12) وهو فعل مطاوع لـ (بعث) بمعنى: أرسله فانبعث

انفطر: كما في قوله تعالى: "إِذَا أَلْسَمَاءُ أَنْفَطَرَتْ" (الانفطار 1) وهو مطاوع لفطر بمعنى تشقق، قال الجوهري: "الفطر الشق، يقال: فطرته فانفطر.. وتفطر الشيء تشقق"²²، قال ابن القيم: "فيه دلالة على عظم عزته، وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره، وفيها تبيان كذب المشركين والكاذبين لأنَّ معبودهم من الكواكب والنجوم والأوثان قد تحطَّم وتناثرت أمامهم، فتبين زيف دعواهم"²³
انقلب: كما في قوله تعالى: "فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلَ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَنَ اللَّهِ" (آل عمران 174)، حيث نصَّ أبو حيان²⁴ والظاهر ابن عاشور²⁵ على المطاوعة فيها، وقال (ابن عطية): "وهي استعارة تمثيلية للارتداد عن الإسلام، ووجه الاستعارة أنَّ المنقلب على عقبه قد ترك ما بين يديه وأدبر عنه، فلما تركوا الإيمان وصاروا بمنزلة المدبر مما بين يديه فوصفوا بذلك"²⁶

أما جاء على مضارع (انفعل) ففيه شاهدان في القرآن الكريم:

ما ينبغي: في قوله تعالى: "وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا" (مريم 92) قال الجوهري: "ينبغي أن تفعل كذا هو من أفعال المطاوعة"²⁷
ينقض: في قوله تعالى: "فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ" (الكهف 77)، وقد ورد هنا مطاوعا لـ (قَضَّ) بمعنى سقوط الشيء ووقوعه، ونصَّ الزمخشري والآلوسي والرازي على معنى المطاوعة في هذه الآية.

4.3. ما جاء على وزن (تفعّل)

²² . الجوهري، الصحاح، مادة (ف ط ر)، 781/2.

²³ . بدائع الفوائد، 183/3.

²⁴ . البحر المحيط، 598/1.

²⁵ . التحرير والتنوير، 213/17.

²⁶ . المحرر الوجيز، 10/2.

²⁷ . الصحاح: (بغى)، 2283/6.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

فيه شواهد من زمن الماضي والمضارع

فأما الماضي ففي قوله تعالى: "وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رُجْعُونَ"

(الأنبياء 93)، قال الزمخشري: "وقطّعهم الله أحزابا فتقطّعوا"²⁸، وقال (الطاهر

ابن عاشور): "التقطّع مطاوع قطع أي تفرّقوا، وأسند التقطّع إليهم لأنهم جعلوا

أنفسهم فرقا فعبدوا آلهة متعدّدة، فشبه فعلهم ذلك بالتقطع"²⁹

وأما المضارع ففي قوله تعالى: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَزَوْجِهِ" (البقرة 102) وذكر المطاوعة للفعل (يتعلمون) في هذا المقام (ابن

عطية)³⁰، و(أبو حيان)³¹، و(ابن عاشور)³²

وفي قوله تعالى: "وَأَنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ" (البقرة 74) جاء الفعل

(يتفجّر) مطاوعا لـ (فجّر) بمعنى الانفجار وخروج الماء الذي يكون بأمر من الله

تعالى وتسخير منه.

وتتعدّد أوزان أخرى غير التي ذكرنا من نحو ما جاء على وزن (استفعل)

نجد هذه الصيغة في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى:

"فَرِحِينَ بِمَا آتَيْنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ

خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (آل عمران 170) حيث جاءت الصيغة

(استبشر) مطاوعة للفعل (أبشر) بمعنى البشارة. قال أبو حيان: "والأحسن أن

استبشر مطاوع أبشر، كقولهم: أكانه فاستكان.. وإنما كان هذا هو الأحسن لأنه

²⁸. أساس البلاغة، ص371.

²⁹. التحرير والتنوير، 142/17.

³⁰. المحرر الوجيز، 422/1.

³¹. البحر المحيط، 500/1.

³². التحرير والتنوير، 645/1.

د. سهام داوي

من حيث المطاوعة يكون منفعلا عن غيره، فوصلت له البشرى بإبشار الله له بذلك، ولا يلزم هذا المعنى إذا كان بمعنى المجرد، لأنه لا يدلّ على المطاوعة³³ وقوله: "فَإِذَا آتَيْنِي آسْتَنْصَرْتُ بِأَلْمَسِ يَسْتَصْرِخُهُ" (القصص 18) ذهب (محمد عبد الخالق عضيمة) إلى أنّ يستصرخه للمطاوعة³⁴

4. الوجوه البلاغية في استعمال المطاوعة في القرآن الكريم

عكست الأوزان والصيغ التي اقترنت بالمطاوعة في الشواهد القرآنية التي ذكرناها وجوها بلاغية ذات دلالات متّسقة مع مقاصد القرآن الكريم، فالكون بما فيه منطاع لأمر الله تعالى، والأمر كن يقتضي أن يكون، طوعا وكرها، إن للكون بجباله وليله ونهاره، وشمسه ونجومه، أو للإنسان الذي هو خلق ضعيف يمضي في هذه الحياة الدنيا بأمر الله.

وتفصيل هذه الوجوه البلاغية كالآتي:

1.4 . بلاغة التوظيف العقدي:

ذكرنا من شواهد المطاوعة قوله تعالى " أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلُّهُ عَنِ آلِيمِينَ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دُخْرُونَ " (النحل 48)، فالإشارة إلى عظم الخلق تضمنين للإشارة إلى عظمة الخالق المنشئ لبديع الخلق، وكما يقول القشيري في تفسيره "كل مخلوق من عين أو أثر، من حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ أَوْ غَبَرٍ فلله- من حيث البرهان -ساجد، ومن حيث البيان على الوجدانية شاهد."

فالعقيدة هي اساس هذا الدين، ومبناها في القلب على اليقين، أما دلائل ما تدعو إليه من الوجدانية فهي مبثوثة في كلّ ما خلق الله تعالى في السموات والأرض، تدعو إلى النظر والتفكير والتدبر، وتبعث على الاستجابة لأمر الله تعالى كما استجابت كلّ المخلوقات طاعة وانقيادا..

³³ . البحر المحيط، 404/1.

³⁴ . دراسات لأساليب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 657/4.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

2.4. بلاغة الترهيب:

طكرنا سابقا مطلع سورة الأنبياء، وما جاء فيه من تحذير الناس من اقتراب حسابهم وهم في غفلة معرضون، وإنما يكون الاقتراب بأمر الخالق عز وجلّ، الذي خلق وقدّر للفناء وقته وظروفه، قال سيد قطب: "مطلع قوي يهز الغافلين هذا، والحساب يقترب وهم في غفلة، والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى، والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته..."³⁵، وأتى (ابن عاشور) البلاغة من مبعثها، وهو فعل المطاوعة الذي اُشار إليه، فقال: "افتتاح الكلام بهذه الجملة أسلوب بديع في الافتتاح لما فيه من غرابة الأسلوب وإدخال الروع على المنذرين، فإن المراد بالناس مشركو مكة، والاقتراب مبالغة في القرب، فصيغة الافتعال الموضوع للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل أي اشتد قرب وقوعه بهم. وفي إسناد الاقتراب إلى الحساب استعارة تمثيلية شبه حال إظلال الحساب لهم بحالة شخص يسعى ليقرب من ديار ناس، ففيه تشبيه هيئة الحساب المعقولة بهيئة محسوسة، وهي هيئة المغير والمُعْجَل في الإغارة على القوم فهو يلح في السير تكلفاً للقرب من ديارهم وهم غافلون عن تطلب الحساب إياهم كما يكون قوم غارّين معرضين عن اقتراب العدو منهم، فالكلام تمثيل"³⁶.

3.4. بلاغة التمثيل

ضرب الله تعالى الأمثال للناس لكي يقفوا على حقيقة الحياة، وحقيقة المعاد، وحقارة الدنيا الفانية، وغيرها من الحقائق التي يغفلون عنها، ولقد جاءت المطاوعة مناسبة في هذا الأسلوب القرآني عبر مواضع بعينها، منها قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْ أَلْحَجَّارَةٍ لَّمَآ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلَأَنْهَرٌ" (البقرة 74) والتفجر: التفعل من فجر

³⁵ . في ظلال القرآن، ص 4312.

³⁶ . التحرير والتنوير، 241/16.

د. سهام داوي

الماء، وذلك إذا تنزّل خارجاً من منبعه، وكل سائل شخص خارجاً من موضعه ومكانه فقد انفجر،

وتفصيل هذه البلاغة ساقه (ابن عاشور) في قوله: "فالمعنى الجامع للوصفين هو عدم قبول التحول عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها. وسواء [أكانت] القساوة موضوعة للقدر المشترك بين هذين المعنيين الحسي والقلبي وهو احتمال ضعيف أم كانت موضوعة للأجسام حقيقة واستعملت في القلوب مجازاً وهو الصحيح، فقد شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة وصار غير محتاج إلى القرينة فآل اللفظ إلى الدلالة على القدر المشترك بالاستعمال لا بأصل الوضع... ووجه تفضيل تلك القلوب على الحجارة في القساوة، أن القساوة التي اتصفت بها القلوب مع كونها نوعاً مغايراً لنوع قساوة الحجارة قد اشتركا في جنس القساوة الراجعة إلى معنى عدم قبول التحول... فهذه القلوب قساوتها عند التمحيص أشد من قساوة الحجارة، لأن الحجارة قد يعتريها التحول عن صلابتها وشدتها بالتفرق والتشقق، وهذه القلوب لم تُجَدِ فيها محاولة. وقد كانت صلابة الحجر أعرف للناس وأشهر لأنها محسوسة فلذلك شبه بها³⁷...

ويكفي من الوجوه ما ذكرنا، فالله تعالى يخوف الناس فما يزيدهم إلا طغيانا وكفرا، وينذر بالترهيب كما يستميل بالترغيب، ويذگر بالخلق كما ينبّه بعباء الرزق، ويتعهد الإنسان بالهداية إرشادا وتوجيها بأقرب المحسوسات إليه ليتيقن من ضعفه، ويعود إلى ربه قبل أن يفوت الأوان.

³⁷. التحرير والتنوير، 213/2.

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

5. خاتمة

أفعال المطاوعة ذات دلالات عميقة في اللغة، وحضور قوي في الإيجاز، حيث يخدم التعدية والمشاركة والانقياد، وهذه الأفعال تعبر عن التأثير والتأثر بين الفاعل والمفعول الذي يصبح بتأثره في مقام الفاعل للفعل المصاغ بينهما. ولم يخلُ القرآن الكريم من هذا النوع من الأفعال، حيث ورد بأوزانه المتنوعة، وصيغه المختلفة بما أدّى دلالات سياقية عميقة، وخدم إعجاز الإيجاز الذي يقتصد في اللفظ ويشبع المعنى.

ولقد خرجنا من هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

. يُكشف عن المطاوعة بالتقدير باعتبار الفعل المطاوع يأتي استجابة لفعل يستحثّه.

. جاءت المطاوعة بصيغ متعدّدة للأفعال، وأوزان متنوعة في أزمنة الماضي والمضارع والأمر.

. معظم أفعال المطاوعة في القرآن الكريم جاءت في الزمن الماضي الذي يدلّ على وقوع الفعل وتحققه وإن كانت الأحداث غالباً موعودة بالتحقق يوم القيامة.

. من بلاغة المطاوعة التأكيد على أنّ المخلوقات كلّها طوع أمر الله تعالى، وأنها إنما تأتمر فتنطاع وتؤدي المطلوب منها بلا تردد.

. خدمت المطاوعة في القرآن الكريم مقاصده المتراوحة بين التشريع، وتثبيت العقيدة، وترسيخ حقيقة العبودية أمام عظمة الخالق، فالأمر لله أولاً وأخيراً،

ويجدر بالباحثين في اللغة والدلالة تطويع الأوزان للمعاني للخروج بقواعد عامة في تعيين الدلالات، والوقوف بالدرجة الأولى على أصل وضعها في القرآن الكريم، فهو مصدر البلاغة الأول، ومعقد المعاني الراقية، والمباني المحكمة ضمن تراكيب تستجيب للسياق وتخدمه.

قائمة المصادر والمراجع:

- الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، 1987م.
- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعارف، القاهرة.
- ابن جني، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وأحمد امين، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م
- أبو حيان، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- الرضي الإستراباذي، شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1980
- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988م.
- الزمخشري، أبو القاسم، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م
- ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الهلال، بيروت

بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، مكتبة الرياض الحديثة، المملكة السعودية.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، 1984م.

العطية، أيوب جرجيس، المطاوعة وأفعالها في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م

ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط1، 1985م.

عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأساليب القرآن، دار الحديث، القاهرة.

الكفوي، أبو البقاء، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.

ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط1، 1982